الأحداث الأولى

في

الحرب العالمية الأولى

تأليف

سعيد إبراهيم كريديه

الطبعة الثانية

دار الرشاد
بيروت

2014 ©

المقدمة

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في مطلع صيف 1914، لم يعتقد أحد أنها ستكون حرب ضروس وطويلة مثل الحرب الأهلية الأميركية (1861-1865). فقد ظن العالم والأوروبيون بشكل خاص أنها ستكون قصيرة واضعةً أوزارها قبل عيد الميلاد من نفس العام، عائدين بالذكرى إلى الحروب الحاسمة والقصيرة التي خاضتها بروسيا عام 1864 ضد الدانمارك وعام 1866 ضد النمسا ضد فرنسا عامي 1870-1871 والتي نتج عنها هزيمة هذه الدول أمام بروسيا وإنشاء دولة ألمانية موحدة تحت لواء الأخيرة عاصمتها برلين. و قد إعتبر الأوروبيون عشية حرب 1914 أن النزاعات العسكرية الطويلة وحصار المدن قد ولى عهدها مع العصور الوسطى. ومما عزز هذا الاعتقاد هو التطور الذي حصل في ذلك الزمن على صعيد الصناعات الحربية و العسكرية و بروز أسلحة فتّاكة جديدة تساعد على حسم الحرب بسرعة لأحد الطرفين، بالإضافة إلى ظهورنظام اقتصادي لا يستطيع تحمل كلفة حرب مدمرة على المدى الطويل. ومن مؤيدي هذا الرأي رئيس الأركان الألماني الجنرال ألفرد فون شليفن *(Alfred Von Schlieffen)* الذي كتب عام 1909 ما يلي: "أن الحرب الطويلة مستحيلة في عصرٍ تعتمد الدولة بوجودها على استمرارية التجارة و الصناعة"(1) ، أما الاقتصادي الفرنسي بول لوروا-بوليو *(Paul Leroy Bealieu)* فقد برهن بطريقة حسابية أن الحرب في أوروبا لا يمكن أن تستمر أكثر من ستة أشهر. وفي بريطانيا اعتقدت وزارة البحرية عند

اندلاع الحرب العالمية الأولى أن المعارك لن تطول أكثر من ستة أشهر لذلك زودت أسطولها بكمية من النفط تكفي لتلك المدة(2) . لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد اندلعت الحرب وطالت أكثر مما كان يُتَوقع و دامت أربع سنوات موقعةً ملايين القتلى والجرحى والمشوهين بالإضافة إلى دمارٍ مروعٍ قضى على عدد ضخم من الممتلكات وحول قسم كبير من الناس إلى مشردين بدون مأوى. والأهم من ذلك هو الصدمة النفسية التي تلقاها الأوروبيون خلال وفي أعقاب الحرب حين وجدوا أنفسهم برابرة بعد أن كانوا يعتقدون أنفسهم من أكثر شعوب العالم تحضراً و تقدماً.

إلا أن ما يميز الحرب العالمية الأولى عن غيرها ليس بعدد الضحايا وحجم الخراب الهائل فقط، بل بالأحداث والتطورات التي ظهرت للمرة الأولى في التاريخ بسبب وخلال هذه الحرب. فلم يسبق لحرب أخرى أن حَوَت مثل هذه الأحداث التي تركت بصماتها على أكثر من جانب من الحياة وما زالت آثارها باقية حتى يومنا هذا؛ لذلك تعتبر هذه الحرب علامة فارقة جداً في مسار التاريخ البشري. فهي انهيار مبنى من الزمن نخرت جدرانه التطورات الاجتماعية والاقتصادية و حتى العلمية والعسكرية في أوروبا، أنها ولادة قيصرية لعهدٍ جديد من التاريخ، وهي حدود بين قديم وحديث ونقطة بين جملتين و محطة بين رحلتين.

قال هربرت بوتنام *(Herbert Putnam)* أمين مكتبة الكونغرس عن الحرب العالمية الأولى ما يلي: "لقد قدمت الحرب وسائل وأساليب جديدة، فهي بالحقيقة حرب

الميكانيكيا والعلم الدقيق. فالميكانيكيا معقدة جداً والعلم لا يطال الأدوات الحربية فقط بل كل عامل في التنظيم والنقل والصحة العامة والمعدات التجهيز. أنها حرب الهندسة والكيمياء والفيزياء والديناميكيا. وهي حرب الصحة وصولاً إلى أدق القيم. (3)

ما هي تلك الأحداث والتطورات التي حصلت لأول مرة في التاريخ بسبب الحرب العالمية الأولى والتي أعطت الأخيرة هذه الميزة الملفتة؟ الجواب على هذا السؤال في الأسطر التالية و التي هي موضوع الدراسة.

لكن قبل الخوض في هذا اليم لا بد من إعطاء فكرة سريعة عن سياق الحرب العالمية الأولى لوضع القارئ قي الجو قبل الولوج بالموضوع المشار إليه.

الهوامش:

(1) Robert O. Paxton, *Europe in the Twentieth Century*, (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1975) p.77.

(2) المصدر السابق، ص 77.

(3) Theodore Wesley Koch, *Books in the War: The Romance of Library War Service*, (New York:Houghton Mifflin Company, 1919), p. 4

الفصل الأول

ولادة عالم جديد تحت الحراب

اندلعت الحرب العالمية الأولى في 28 حزيران عام 1914 على أثر اغتيال ولي عهد النمسا. وقد وقع الحادث في مدينة سرايفو عاصمة البوسنة والهرسك التي كانت آنذاك جزءاً من الأمبراطورية النمساوية الهنغارية. فما كان من الأخيرة إلا أن أعلنت الحرب على صربيا في 28 تموز متهمةً إياها بالضلوع في جريمة الاغتيال. و في اليوم التالي قصف الجيش النمساوي مدينة بلغراد عاصمة صربيا. وكان أمبراطور النمسا قد أرسل في الخامس من تموز مبعوثاً إلى برلين يطلب منه دعماً ألمانياً ضد صربيا. استجاب القيصر الألماني لطلب الأمبراطور ومنح الأمراطورية النمساوية الهنغارية ما عُرِف وقتها بـِ "شيك على بياض" تُقدم ألمانيا بموجبه كل الدعم لحكومة فينا حتى في حال نشوب حرب بين النمسا وروسيا. و تربط روسيا بصربيا الرابطة السلافية والمذهب الأرثوذكسي، و من جهة أخرى فإن القضاء على صربيا سيؤدي إلى إنهيار نفوذ روسيا في البلقان، لذلك قرر الروس مؤازرة بلغراد وأعلنوا التعبئة العمة في 29 تموز. و بسبب بطء التكنولوجيا العسكرية الروسية فإن التعبئة العامة التي أعلنتها حكومة بطرسبرغ بانت وكأنها ضد النمسا وألمانيا في وقت واحد. وفي برلين أعتبر القادة الألمان أن التعبئة العامة الروسية المعلنة ضد

الأمبراطورية النمساوية الهنغارية هي تهديد لهم أيضاً. فأرسلت ألمانيا في 31 تموز إنذاراً إلى روسيا مدته 12 ساعة تطلب بموجبه وقف التعبئة. لكن مدة الإنذار إنتهت من دون صدور أي رد. فما كان من ألمانيا إلا أن أعلنت الحرب على روسيا في الأول من آب. لكن القادة في برلين كانوا يعتقدون أن طريق بطرسبرغ تمر عبر باريس بسبب التحالف الفرنسي مع روسيا، لذلك قرروا مهاجمة فرنسا أولاً. لكن الهجوم على فرنسا يتطلب إجتياح بلجيكا المحايدة حسب خطة الجنرال فون شليفن*. فما كان من ألمانيا إلا أن إجتاحت بلجيكا بعد إعلانها الحرب على فرنسا في 3 آب. و في اليوم التالي أعلنت بريطانيا الحرب على النمسا لعدم إحترامها حياد بلجيكا. و هكذا بدأت المعارك في 4 آب فاتحة بذلك الحرب العالمية الأولى. لكن الحرب لم تطل هذه الدول فقط، ففي مطلع تشرين الثاني دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا والأمبراطورية النمساوية الهنغارية، و إنضمت إليها بلغاريا في 14 تشرين الأول 1915 و قد عُرف هذا الفريق بالدول الوسطى. أما الفريق الآخر فقد عُرف بالحلفاء وإنضمت إليه عدة دول منها إيطاليا في 23 أيار 1915 والولايات المتحدة الأمريكية في 6 نيسان 1917.

دامت الحرب أربع سنوات ودارت رحاها في أوروبا والشرقين الأوسط والأقصى وفي المحيطات والبحار. و إنتهت في الساعة 11 اليوم 11 من الشهر 11 من عام 1918 . و في كانون الثاني 1919 عُقد مؤتمر الصلح في باريس لتسوية المشاكل التي خلفتها الحرب. و كان من نتائج هذه الحرب العالمية الأولى خسارة الدول الوسطى ووقوع عدد ضخم من الضحايا وحدوث

خراب ودمار هائلين. كما كان من نتائجها ولادة تطورات هامة ظهرت لأول مرة في التاريخ بسبب هذه الحرب شملت النواحي العسكرية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والفكرية والتي سنتناولها بنداً بنداً في السطور القادمة.

الهوامش:

* تقضي خطة فون شليفن رئيس الأركان الألماني بين عامي 1891 و 1905 بأن تواجه ألمانيا الحلف الروسي الفرنسي بحرب خاطفة ضد فرنسا أولاً من خلال دفع كل الجيش الألماني تقريباً الى هولندا و بلجيكا ثم إلى غرب فرنسا. وقد إعتقد فون شليفن أن هذه العملية يجب أن تتم في غضون ستة أسابيع يتفرغ بعدها الألمان لمقاتلة روسيا لأن عملية التعبئة العامة عندها أبطء من فرنسا.

الفصل الثاني

الأحداث و التطورات العسكرية

تتجلى الأحداث و التطورات العسكرية التي شهدها العالم ولأول مرة خلال الحرب العالمية الأولى في الأسلوب العسكري وفي نوعية الأسلحة، وهي كالآتي:

أولاً: كانت هذه أول حرب في التاريخ تشهد هذا الحشد من الدول والجيوش الجرارة. لذلك سميت بعد إندلاعها بالحرب العظمى. فقد إشترك فيها 28 دولة من مختلف أنحاء العالم. و فيما يلي جدول بأسماء الدول المشاركة وتاريخ دخولها الحرب:

أ- الدول الحليفة

عدد الدول	إسم الدولة	تاريخ دخولها الحرب
1	صربيا	28 تموز 1914
2	روسيا	1 آب 1914
3	فرنسا	3 آب 1913
4	بريطانيا	4 آب 1914
5	بلجيكا	4 آب 1914
6	الجبل الأسود	5 آب 1914
7	اليابان	23 آب 1914
8	إيطاليا	23 أيار 1915
9	سان مارينو	3 حزيران 1915
10	البرتغال	9 آذار 1916

11	رومانيا	27 آب 1916
12	الولايات المتحدة الأمركية	6 نيسان 1917
13	باناما	7 نيسان 1917
14	كوبا	7 نيسان 1917
15	اليونان	2 تموز 1917
16	تايلاند	22 تموز 1917
17	ليبيريا	4 آب 1917
18	الصين	14 آب 1917
19	البرازيل	27 تشرين الأول 1917
20	غواتيمالا	23 نيسان 1918
21	نيكاراغوا	8 أيار 1918
22	كوساريكا	23 أيار 1918
23	هاييتي	12 تموز 1918
24	هندوراس	19 تموز 1918

ب. الدول الوسطى

25	الأمبراطورية النمساوية الهنغارية	28 تموز 1914
26	ألمانيا	1 آب 1914
27	تركيا	1 تشرين الثاني 1914
28	بلغاريا	14 تشرين الأول 1915

أما عدد الجنود الذين شاركوا في الحرب فكان ضخماً جداً إلى حد لا يصدق بالمقارنة مع الحروب السابقة، فكان لروسيا 14 مليون جندي و ألمانيا 11 مليون جندي وفرنسا 8,5 مليون وبريطانيا 6 ملايين و 3,5 من باقي الأمباطورية البريطانية .[1]

ثانياً: كانت أول حرب شاملة في التاريخ دارت رحاها في مختفف أنحاء العالم وأشعلت جبهاتها معظم القارات والمحيطات، حيث تورط في هذه الحرب 90% من سكان الكرة الأرضية(2) أما جبهاتها فكانت:

أ- في أوروبا حيث المعارك على أشدها، فكان هناك:

1- الجبهة الغربية: في شمال فرنسا بين ألمانيا من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهةٍ أخرى. وقد عَرفت هذه الجبهة ثلاث معارك طاحنة لم يشهدها التاريخ من قبل من حيث الخسائر بالبشر والحجر. المعركة الأولى هي معركة مارن *Marne* الأولى التي إمتدت من 6 حتى 9 أيلول من عام 1914 . وفي 21 شباط عام 1916 شن الألمان هجوماً على الحلفاء في منطقة فردان *Verdun* في فرنسا ودامت المعركة حتى شهر تموز من نفس العام، سقط فيها مليون شخص بين قتيلٍ و جريح من دون أن يحرز أي فريق تقدم يذكر، و سميت هذه المعركة بمعركة فردان. أما المعركة الثالثة فهي معركة سوم *Somme* حين شن الحلفاء هجوماً معاكساًعلى الخطوط الألمانية في تموز 1916. وهنا أيضا لم يحدث أي تغيير يذكر في مواقع الفريقين، إذ "ظهر الفشل من اليوم الأول، وقد خسر البريطانيون حوالي 60,000 جندي(3) "، ودامت المعركة حتى 11 تشرين الثاني من نفس العام.

2- الجبهة الشرقية: في شرق أوروبا وتحاربت فيها روسيا من جانب وألمانيا والأمبراطورية النمساوية الهنغارية من جانبٍ آخر.

3- جبهة البلقان: تصارع عليها كل من الأمراطورية النمساوية الهنغارية وألمانيا وتركيا وبلغاريا ضد صربيا ورومانيا والجبل الأسود واليونان والقوات البريطانية التي كانت تشمل قوات من أستراليا و نيوزيلاندا. و قد نزلت القوات البريطانية في شبه جزيرة غاليبولي وقاتلت الأتراك.

4- جبهة أوروبا الوسطى: تقاتلت فيها إيطاليا ضد الأمبراطورية النمساوية الهنغارية. ولم يكن لهذه الجبهة دور حاسم في الحرب.

ب- أما الشرق الأوسط فقد شهد معارك بين تركيا من جانب والقوات البريطانية الموجودة في مصر من جانب آخر التي إحتلت فيما بعد فلسطين والأردن وسوريا ولبنان بمساعدة قوات عربية قدمت من الحجاز وقوات فرنسية نزلت على الشاطئ اللبناني. وفي العراق هاجمت القوات البريطانية مدينة البصرة من البحر و تابعت سيرها شمالاً الى بغداد والموصل.

ت- و في الشرق الأقصى: استولت اليابان على المستعمرات الألمانية في المحيط الهادئ كما إحتلت كياو تشو *K iao-Chau* وهو مركز إمتياز وقاعدة بحرية ألمانية على الشاطئ الصيني. وإستولت قوات أسترالية على المستعمرات الألمانية في غينيا الجديدة وأرخبيل بسمارك، أما نيوزيلاندا فإبتلعت الجزء الألماني من جزيرة ساموا Samoa في جنوب المحيط الهادئ.

ث -و في إفريقيا: إحتلت قوات بريطانية وفرنسية المستعمرات الألمانية في توغو Togo والكمرون Cameroon و ظلت تانجانيقا (التي تعرف اليوم بإسم تانزانيا) بأيدي ألمانيا حتى نهاية الحرب.
لم تشهد الجبهتان الأخيرتان معارك عنيفة بسبب ضعف الأسطول االألماني في حماية المستعمرات الألمانية في الشرق الأقصى وجزر المحيط الهادئ وإفريقيا .(4)

ج- لم تسلم البحار و المحيطات من براثن الحرب وخاصة بعد إستعمال ألمانيا للغواصات في مهاجمة سفن الحلفاء وبواخر الدول المحايدة في المحيطات الأطلسي و الهادئ والهندي بالإضافة إلى المعارك البحرية بين البوارج الألمانية والبريطانية في بحر الشمال، كما شهد البحر الأسود وبحر مرمرة عمليات عسكرية بحرية بين الأطراف المتحاربة.

ثالثاً: إستُعمِل في هذه الحرب ولأول مرة في التاريخ أسلحة جديدة لم يعرفها الأنسان في حروبه السابقة قد لعبت هذه الأسلحة أدواراً مهمة جداً في تغيير مجرى الحرب لصالح أحد الطرفين المتحاربين. و الأسلحة هي:

أ- الغواصة: يعود تاريخ بناء أول غواصة لعام 1620 وكانت مصنوعة من الخشب المغطى بمواد تمنع تسرب الماء الى الداخل؛ إلا أن إستعمال هذه المركبة ظل محدوداً جداً حتى الحرب الثورية في الولايات المتحدة (1770-1783) حيث تم إختراع غواصة يقودها شخص واحد ودُعيت "السلحفاة Turtle". لكن السلحفاة فشلت في إغراق سفينة حربية بريطانية في مرفأ

نيويورك. في عام 1800 تم إختراع غواصة مطلية بالنحاس طولها 21 قدم لكنها لم تدخل حيز الإستعمال. وفي الحرب الأهلية الأميركية (1861-1865) إستُعمِلت غواصة تحمل متفجرات إلا أن المحاولة باءت بالفشل بعد أن إنفجرت الغواصة. وفي عام 1898 أطلق المخترع الأميركي جون هولاند غواصته المزودة بالمحركات وبطارية كهربائية، و قد بلغ طولها 53 قدم. وفي عام 1900 إشترت البحرية الأميركية هذه الغواصة وأطلقت عليها إسم "هولند." بالإضافة إلى تلك الغواصة بنى سايمون ليك *Simon Lake* عام 1902 غواصة مع عدسات مكبرة لمراقبة العدو. و بعد ذلك بستة أعوام بنت بريطانيا غواصة تعمل بالمازوت و كانت أقوى وأخف خطراً من التصاميم السابقة.(5)

إلا أن الحرب العالمية الأولى كانت أول حرب إستعملت فيها الغواصات بشكلها المتطور وعلى نطاق واسع. و قد برهنت هذه الحرب على فعالية الغواصة كسلاح حربي فتّاك. وكان إستعمال الغواصات خلال الأشهر الستة الأولى من الحرب لأغراضٍ إستطلاعية و للمراقبة(6)، لكن الحصار البحري الذي فرضه الحلفاء ضد ألمانيا أجبر الأخيرة على إقحام الغواصة في الحرب وضرب حصاراً بحرياً على بريطانيا من خلال إغراق السفن المتوجهة اليها. ثم ما لبثت أن تطورت حرب الغواصات إلى خارج الشواطئ البريطانية. ففي خلال هجوم الحلفاء على مضيق الدردنيل عام 1915 هاجمت الغواصات البريطانية خطوط الإمدادات التركية في بحر البلطيق. ورد الألمان بمهاجمة سفن الحلفاء و بواخر الدول المحايدة في شواطئ الولايات المتحدة و على الشواطئ الروسية المطلة على المحيط المتجمد الشمالي(7). وقد لعبت الغواصة

دوراً هاماً في تغيير مجرى الحرب، ففي عام 1915 أغرقت إحدى الغواصات الألمانية السفينة البريطانية لوزيتانيا *Lusitania* حيث هلك فيها 1198 شخصاً، 124 منهم كونوا من الأميركيين. وقد غضب الرأي العام الأميركي من جراء هذه الحادثة وما تلاها من إغراق سفينة أميركية تلو أخرى من قِبَل الغواصات الألمانية، مما شكل أحد الأسباب التي أدّت لدخول الولايات المتحدة الحرب عام 1917 إلى جانب الحلفاء. وعلى كلٍ فقد كانت الخسائر الحليفة كبيرة في البحر، ومع ذلك إستمرت السفن الحليفة تمخر عباب البحر لنقل الذخيرة والمواد الأولية والغذائية.

ب- الطائرة: إستعملت الطائرة في البدء للأستطلاع ومراقبة العدو كما كان الحال مع الغواصة. وكانت سرعتها 120 كلم بالساعة ووصل إرتفاعها الى حوالي 3000 متر (8) لكن ما لبث أن بدأ الطيارون بتبادل إطلاق العيارات النارية مغ المدافع الرشاشة الأوتوماتيكية المركبة على الطائرة. و هذا أحدث صعوبة تقنية بسبب وجود مروحة الطائرة أمام المقود مما يجعل الرصاصات تخترق شفرات المروحة أو إحتمال إرتداد الرصاصات على الطيار. لكن الحل أتى عام 1915 عندما تم إختراع مدفع رشاش أوتوماتيكي يطلق النار فقط حين لا تكون شفرات المروحة على فوهة المدفع الرشاش. وقد أدى هذا التطور إلى معارك أكثر هلاكاً. ومع تطور الحرب بدأ الطيارون يلقون قنابل بأيديهم من الطائرة على أهداف أرضية. و كانت هذه مهمة عويصة في أغلب الأحيان، فتم تطوير الطائرات لتلقي قنابل بواسطة آلة وإستطاعت هذه الطائرات أن تحمل قنابل زنتها 2,7 طن متري(9). و في عام 1915 قصف

الألمان من الجو الساحل البريطاني المطل على القنال الأنكليزي، وفي أوخر أيار من نفس العام تعرضت لندن لأول مرة لغارة جوية من الألمان قُتِل فيها سبعة أشخاص وجُرح 35 .(10) وفي أيلول 1918 قاد ضابط أميركي أكبر هجوم جوي على الألمان في شرق فرنسا شارك فيه 1500 طائرة حليفة حيث سيطر بعدها الحلفاء على الأجواء وأحدثوا بلبلة في الصفوف الألمانية .(11)

ت- الدبابة: يعود تاريخ الدبابة إلى بداية القرن العشرين حيث إنتشر إستخدام محرك الإحتراق الداخلي، فإمتلكت الدول الصناعية القوة اللازمة لتسيير عربة مدرعة. وكانت هذه العربة في البداية سيارة مدرعة (مصفحة) تسير على عجلات. ورغم البدء بإنتاج المصفحات عام 1904، فإن التصاميم التي قُدمت إلى السلطات العسكرية المسؤولة في بريطانيا (1903) وفي فرنسا (1908) وفي ألمانيا والنمسا (1912) والخاصة بصنع عربات مدرعة تسير على جنازير (سلاسل) تركب عليها مدافع قد رُفِضت من جانب السلطات المذكورة لبدائية تصاميمها، مما دفع المصميمين إلى متابعة الجهد حتى تم التوصل خلال الحرب العالمية الأولى إلى صنع العربة المطلوبة و التي إخذت إسم دبابة .(12)و قد أحدثت الدبابة ثورة في عالم الأسلحة البرية. وقد إستُعمل هذا السلاح لأول مرة في معركة سوم في تموز 1916 من قِبَل بريطانيا. ولعبت الدبابة دوراً هاماً لصالح الحلفاء.

ث- المدفع الرشاش الأوتوماتيكي: يعود تاريخ إختراعه إلى عام 1883 على يد المخترع الأميركي هيرام ماكسيم (13) Hiram Maxim. وقد إستُعمِل هذا السلاح

في عدة أشكال خلال الحرب العالمية الأولى. وكان لسرعته بالإطلاق دور في سير المعارك إذ إستطاع أن يطلق بين 4-5 آلاف طلقة في الدقيقة، بالإضافة إلى سهولة نقله وحمله.(14)

ج- إستُعمِل لأول مرة في التاريخ خلال هذه الحرب مدفع 42 سم (16 إنش) الذي أطلق قذيفة وزنها طن محشوة بالمتفجرات ولمسافة تصل إلى أكثر من 15 ميل. (15)

ح-أُطلقت في هذه الحرب ولأول مرة قذائف الشظايا، وهي قذائف تحتوي على عدة مئات من الرصاصات وعند إنطلاقها من المدفع تنفجر في الجو وتمطر الرصاصات على رؤوس الأعداء.(16)

خ-الأسلحة الكيماوية: إن أول إستعمال للأسلحة الكيماوية على نطاق واسع كان في أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى. و كانت فرنسا أول دولة إستخدمت القنابل المسيلة للدموع وذلك في شهر آب من عام 1914 لعرقلة تقدم الجيش الألماني. فما كان إلا أن ردت ألمانيا على نطاق واسع. ففي 22 نيسان من عام 1915 شن الألمان هجوماً صاعقاً على القوات الفرنسية في منطقة أيبر Ypre البلجيكية وألقوا عليها 500 قذيفة ضخمة محشوة بما زنته 168 طن من غاز الكلور المضغوط. فإنتشرت غيوم ضخمة صفراء على مساحات شاسعة قضت على كل أشكال الحياة فيها من بشر وحيوان ونبات. وفي 19 كانون الأول 1915 إستعمل الألمان غاز الفوسجين لأول مرة ضد الحلفاء وكان هذا الغاز يخترق الأقنعة الواقية. فإبتكر الحلفاء أقنعة بديلة إتقاءً

لهذا الغاز الجديد. فما كان من الألمان إلا أن طوروا غازاً جديداً هو ثاني فينيل كلوراسين الذي يسبب التقيؤ، فيُطلق مع غاز الفوسجين، عندها يضطر جنود الأعداء أن يرفعوا كمّاماتهم للتقيُؤ فيصابون بالفوسجين القاتل. وفي عام 1916 إستعملت ألمانيا الأسلحة الكيماوية على الجبهة الروسية، فحصلت مآسٍ فظيعة من إختناق وتشويه وإعاقة لعشرات الألوف من الناس بالإضافة إلى إلحاق الضرر بالثروتين الحيوانية والحرجية. فما كان من الدول الحليفة إلا أن ردت على القصف الكيماوي بمثله، فضربت الجيش الألمان على كل الجبهات بغاز الخردل وهو غاز فتاك يؤدي إلى العمى والإختناق والتدرن الرئوي والإلتهابات الجلدية و أخيراً إلى الموت. و في 12 تموز عام 1917 إستعمل الألمان غاز الخردل ضد الحلفاء وحصدوا ألوف القتلى. أما الحصيلة النهائية لإستعمال هذا السلاح فبلغت زهاء مليون ونصف من البشر، منهم 90000 قتيل والباقي بين معاق وأعمى ومصاب بإلتهابات رئوية و جلدية.(17)

د-الجهاز اللاسلكي: و هو جهاز متطور لإختراع ماركوني؛ وقد لعب دوراً هاماً في الإتصالات بين القيادة والجيوش وحتى في الجبهة نفسها، كما إستعمل في الطائرة والغواصة والباخرة.

رابعاً: عرفت أوروبا ولأول مرة في التاريخ ما سُمي بـِ" حرب الإستنزاف" التي دارت في الخنادق في فرنسا بين الألمان من جانب والفرنسيين والبريطانيين من جانب آخر وذلك بين عامي 1915 و 1918.

وحرب الإستنزاف هي أن تكون قوى الطرفين شبه متوازنة حيث يتخذ الصراع إشتباكات جزئية وفقاً لإقتصادٍ كبير في القوى وتستهدف إلحاق خصائر محدودة بالخصم، لكنها تمتد إلى فترة زمنية طويلة بحيث تؤدي إلى إستنزاف موارد الخصم المادية والمعنوية تمهيداً لتوجيه ضربة حاسمة. وخلال الحرب العالمية الأولى لجأ الطرفان الألماني والحليف بين عامي 1915 و 1918 إلى محاولة إستنزاف الموارد البشرية والمادية للطرف الآخر بهجمات على الجبهة تُستخدم فيها حشود هائلة من المدفعية والمشاة و أسفرت عن تقدم طفيف دفع في الطرفان ثمناً باهظاً من القوى البشرية مثلما حدث في معركة فردان (21 شباط - 11 تموز 1916) ومعركة سوم (1 تموز - 11 تشرين الثاني 1916).(18)

خامساً: شهدت هذه الحرب أطول وأضخم خنادق عرفها التاريخ. فقد بلغ طول الخنادق بين المتحاربين على الحبهة الغربية حوالي 600 ميل إمتدت من القنال الإنكليزي حتى الحدود السويسرية(19). ولم تكن هذه الخنادق طويلة فحسب بل كانت متعددة حيث بنى كل فريق عدة خنادق في مواجهة الآخر: فكان هناك خندق أول و ثاني وثالث لعدم فعالية الخندق الواحد من شدة القصف، وقد إتصلت هذه الخنادق ببعضها لتؤمن الإتصال من دون التعرض إلى نار العدو. وقد بُنِيَ في بعض الأماكن مدن تحت الأرض تحوي على مراكز إسعافات أولية ومطابخ ومستودعات وذخيرة وغرف نوم.(20)

سادساً: أُطلِق في هذه الحرب ولأول مرة في التاريخ أكبر عدد من القذائف وذلك خلال القصف الذي سبق معركة فردان حيث أُطلق حوالي مليوني قذيفة.(21)

سابعاً: شهدت هذه الحرب ولأول مرة في التاريخ نقل الجنود بواسطة السيارات خلال المعارك (22)و خاصة في معركة فردان، وقد ساعد هذا الإبتكار بتشريع وصول الجنود كما أمّن فعالية أكثر للمعارك.

ثامناً: عرفت هذه الحرب إبتكاراً جديداً في ميدان السوقيات(Logistics) * أُستعمل لأول مرة في التاريخ و هو تكريس طرق للسير ولمرور العسكريين فقط سُميت بالطرق المقدسة هدفها تأمين التموين و الذخيرة للجيش ليلاً نهاراً. و كان هذا الإبتكاراً جديداً لم تعرفة الحروب من قبل قد أطلقه الجنرال الفرنسي بيتان (Petain) في معركة فردان. وقد أصبح هذا الإجراء مُعتمداً خلال الحرب العالمية الثانية.(23)

تاسعاً: أُعتُمِد خلال هذه الحرب ولأول مرة في التاريخ اللباس الكاكي لجميع الجيوش بدلاً من البدلات الحربية الملونة.(24)

عاشراً: كانت الحرب العالمية الأولى أول حرب في التاريخ يصل فيها مجموع عدد الأسرى إلى رقم ضخم يُعد بالملايين (حوالي 8,400,000 أسير) وإحتجزوا لفترات طويلة.(25)

حادي عشر: كانت الحرب العالمية الأولى أكثر الحروب تدميراً وخراباً وقد تنج عن ذلك عدد هائل من الضحايا لم يعرفه الإنسان من قبل، إذ تراوح عدد القتلى بين 9-10 مليون شخص (26) بينما بلغ عدد الجرحى حسب رأي المؤرخين "شميت Schmitt" و "فدلر Vedeler" حوالي 30 مليون جريح(27) بينما قدر المؤرخ "لاندمان Landman" عدد الجرحى بحوالي 22,000,000 جريح ثلاثة أرباعهم من جنود الحلفاء(28)، كما بلغ عدد المفقودين حوالي 5,000,000 شخص، كما توفي 9,000,000 شخص بسبب المجاعة والأمراض والمجازر مع العلم أن كل حروب القرن التاسع عشر لم تحصد سوى أقل من نصف قتلى الحرب العالمية الأولى.(29)

ثاني عشر: وعن كلفة هذه الحرب وهي الأكثر في التاريخ تُدرج الموسوعة الأميركية(30) الجدول التالي:

الكلفة المباشرة	=	186,333,637,000 دولار أميركي
الكلفة الغير مباشرة	=	151,646,942,560 دولار أميركي
المجموع	=	337,980,579,560 دولار أميركي

و يقول لاندمان عن الكلفة ما يلي:" أنفق الحلفاء 126,000,000,000 دولار أميركي في هذه الحرب، بينما أنفقت الدول الوسطى 60,000,000,000 دولار أميركي. وفي عام 1918 صرف المتحاربون 10,000,000 دولار أميركي في الساعة"(31)، ويتابع لاندمان أن "تقديرات الخسارة بالممتلكات بلغت 400,000,000,000 دولار أميركي وهذه القيمة تكفي لبناء منزل بقيمة

2500 دولار مع أثاث بقيمة 1000 دولار على أرض مساحتها خمسة أكر* ثمن كل أكر 100 دولار، وذلك لكل عائلة في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وأنكلترا وسكوتلاندا وويلز وأيرالندا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا وروسيا؛ ثم يبقى مال لتزويد كل دولة بمكتبة كلفتها 5,000,000 دولار وجامعة بكلفة 10,000,000 دولار مع راتب لحوالي 125000 معلم و125000 ممرضة بالإضافة إلى شراء كل بلجيكا و فرنسا".(32)

ثالث عشر: نشرت الدول المتحاربة لأول مرة في التاريخ الروايات الرسمية للعمليات الحربية في البر و البحر والجو وفي عدة مجلدات بعد أن كانت هذه المعلومات تعتمد في الماضي على المذكرات واليوميات الخاصة فقط.(33)

كانت تلك الأحداث والتطورات العسكرية التي دارت لأول مرة في التاريخ خلال الحرب العالمية الأولى. ومنذ ذلك الوقت تكررت هذه الأحداث في أكثر من حرب وتحول معظمها الى ركن أساسي لأي عمل عسكري. فإستعمال الغواصات لعب دوراً هاماً جداً في الحرب العالمية الثانية، أما الطائرات والدبابات فأضحت عصب حروب القرن العشرين التي تلت الحرب العالمية الأولى، قد شهد هذان السلاحان تطوراً كبيراً خلال ذلك القرن ليصبحا أكثر تعقيداً وفتكاً. أما على صعيد الأسلحة الكيماوية فقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين لجوء بعض الدول إلى هذه الأسلحة وقد أبدع العقل الإنساني بعد ذلك لينتج الأسلحة البيولوجية والجرثومية والنووية الذرية، ومن يدري ماذا يُخبئ لنا القدر في المستقبل من أسلحة جديدة؟؟؟

الهوامش:

(1) Bernadotte E. Schmitt and Harold C. Vedeler, *The World in the Crucible, 1914-1919,* (New York: Harper and Row, 1984), p. 296

(2) Robert Ergang, *Europe in our Time: 1914 to the Present*, (New York: D.C. Heath and Company, 1958), p. 3.

(3) H. Stuart Hughes and James Wilkinson, *Contemporary Europe: A History*, 7th ed., (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1991), p. 59.

(4) Preston Slosson, *Europe since 1815*, (New York: Charles Scribner's Sons, 1954), p. 266.

(5) "Submarine", *The World Book Encyclopedia*, (Chicago: World Book International, 1996), vol. 18, pp. 371-.372.

(6) Schmitt and Vedeler, p. 303.

(7) المصدر السابق، ص 305.

(8) "Air force", *The World Book Encyclopedia,* (Chicago: World Book International, 1996), vol. 1, p. 198.

(9) المصدر السابق، ص 198.

(10) Trevor Wilson, *The Myriad Faces of War*, (Cambridge: Polity Press, 1986), p. 157.

(11) "Air force", *The World Book Encyclopedia,* vol. 1, p. 198.

(12)"الدبابة"، الموسوعة العسكرية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1985)، مج 2، ص 265 .

(13) "Machine Gun", *The World Book Encyclopedia,* (Chicago: World Book International, 1996), vol. 13, p. 15.

(14) J. Salwyn Schapiro, *Modern and Contemporary European History, 1815-1925*[sic], (New York: Houghton Mifflin Company, 1923[sic]), p. 724.

(15)المصدر السابق، 724

(16)المصدر السابق، 724

(17)محمد ميشال الغريّب، جرائم الحروب الكيماوية، (بيروت: دار الروضة، 1989)، ص 55-58.

(18) "الإستنزاف"، الموسوعة العسكرية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1985)، مج 1، ص 72-73.

(19) Ergang, p. 41.

(20)المصدر السابق، ص 41.

(21) Hughes and Wilkinson, p. 58.

(22) Schmitt and Vedeler, p. 300.

*أي نقل الجنود و أيوائهم و تموينهم (أنظر قاموس المورد تحت كلمة Logistic).

(23) Hughes and Wilkinson, p. 58.

(24) Robert O. Paxton, *Europe in the Twentieth Century*, (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1975) p.111.

(25) Schmitt and Vedeler, p. 300.

(26) Hughes and Wilkinson, p. 58.

(27)ص296

(28) *New Outline : History of the World since 1914*, 5th ed, (New York: Barnes and Noble, 1944), p. 25.

(29)المصدر السابق، ص.25

(30) Vincent J. Esposito, "World War I: Costs of War", *Encyclopedia Americana*, (Danbury, Connecticut: Grolier Incorporated, 1992), vol. 29, p. 361.

(31)ص25

*يساوي الأكر 4840 ياردة مربعة أو نحو أربعة ألاف متر مربع (أنظر قاموس المورد تحت كلمة .(acre)

(32) ص 25.

(33) Schmitt and Vedeler, p. 476.

الفصل الثالث

يمكن تقسيم الأحداث والتطورات السياسية التي حدثت لأول مرة في التاريخ بسبب الحرب العالمية الأولى إلى قسمين. القسم الأول حدث خلال الحرب، والقسم الثاني في أعقابها.

القسم الأول : خلال الحرب:

أولاً: دخول الولايات المتحدة لأول مرة في التاريخ معترك السياسة الدولية ومحاربتها لعدة دول تقع ما وراء البحار، بعد أن تميزت السياسة الأميركية بالإبتعاد عن النزاعات الدولية البعيدة عنها من نيل استقلالها من بريطانيا عام 1776.

ثانياً: دخول جيش الولايات المتحدة لأول مرة في التاريخ القارة الأوروبية وتغيير مجرى الحرب هناك. وكان لهذا الدخول وقع سياسي واضح. فبعد أن كانت أوروبا هي التي تقرر مصير القارة الأميركية، أضحت الولايات المتحدة أقوى دولة في القارة الحديثة ومنذ ذلك التاريخ تلعب دوراً هاماً جداً في قلب موازين القوى في أوروبا وخاصة حين تتعرض الأخيرة للمحن.

ثالثاً: دخول فرنسا وبريطانيا لأول مرة في التاريخ عمق المشرق العربي. صحيح أن الحروب الصليبية قد أفسحت المجال لجيوش أوروبية بدخول الشرق العربي إلا أن وجود هذه الجيوش إقتصر على الساحل الشرقي لحوض البحر الأبيض المتوسط، لذلك لم يحكم الصليبيون دمشق وبغداد والموصل

والبصرة وعمق الخلال الخصيب كما فعلت جحافل فرنسا وبريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى.

رابعاً: تحول اليابان لأول مرة في التاريخ إلى دولة عظمى تلعب دوراً هاماً مع أوروبا والولايات المتحدة على مسرح السياسة الدولية.

خامساً: وصول طبقة العمال لأول مرة في التاريخ إلى الحكم وذلك في بريطانيا عام 1915 حين دخل حزب العمال في الإئتلاف الحكومي الذي رأسه "أسكويث Asquith". وفي إنتخابات عام 1918 أصبح حزب العمال البريطاني الثاني في البلاد وحزب المعارضة الرئيسي بعد الحرب.

سادسا: ظهور لإول مرة في التاريخ دولة شيوعية ملحدة وذلك في روسيا عام 1917 عقب قيام الثورة البولشفية وسقوط حكم القياصرة ليصبح إسمها فيما بعد "الإتحاد السوفياتي."

القسم الثاني: بعد الحرب:

أولاً: بزوغ دول جديدة ظهرت لأول مرة في التاريخ مثل يوغسلافيا وتشيكوسلافيا وفنلندا وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن.

ثانياً: إنعقاد أكبر مؤتمر سياسي في التاريخ ومعالجته لمواضيع لم يسبق لأي مؤتمر دولي أن تطرق لها من قبل. وهذا المؤتمر هو مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس يوم 18 كانون الثاني عام 1919 واشتركت فيه الدول التي شاركت في الحرب بإستثناء روسيا والدول الوسطى بالإضافة إلى الدول التي ولدت حديثاً، كما حضر المؤتمر أيضاً وفود غير رسمية تمثل قوميات وشعوب

عرضت مطالبها على المؤتمرين مثل لأرمن والأكراد وموارنة لبنان وغيرهم.*

وكانت أوروبا قد شهدت عام 1815 مؤتمراً ضخماً عُقد في فينا عاصمة الامبراطورية النمساوية الهنغارية حضرته الدول الكبرى في ذلك الزمن. لكن هذا المؤتمر لم يشمل دول ووفود حضرت مؤتمر باريس عام 1919 مثل الولايات المتحدة واليابان ودول من أميركا الجنوبية، زد على ذلك أن "مؤتمر فينا تجاهل المطالب الشعبية وعمد إلى صنع سلام يناسب حكومات غير مسؤولة"[1] بالإضافة إلى "إتخاذ قرارات شخصية من قبل طبقة النبلاء الحاكمة في أوروبا أمثال قيصر روسيا وملك بروسيا والأمير تاليران والأمير مترنيخ والدوق ولنغتون. أما في باريس فقد انعدمت الملكية والأرستقراطية وحل مكانها شخصيات تتمتع بالتواضع والفكر الليبرالي."[2]

[1] Slosson, p. 296.

[2] المصدر السابق، ص 299.

* عدد الدول التي شاركت في المؤتمر هو 32: 24 الدول الحليفة (خروج روسيا والجبل الأسود وانضمام بولندا وتشيكوسلوفاكيا) بالإضافة إلى دول الدومنيون البريطاني (أستراليا، جنوب إفريقيا، كندا، نيوزيلاندا والهند البريطانية). كما إشترك في هذا المؤتمر دول من جنوب أميركا مثل البيرو وبوليفيا والأرغواي، ومن العالم العربي شارك الحجاز فقط.

لم تكن العصبة ذات سيادة و لم يكن لديها أي قوى عسكرية، كما كانت عجزة عن أخذ أي قرار من دون موافقة جماعية من مجلس العصبة الذي كان يتألف من خمسة أعضاء دائمين و تسعة أعضاء مناوبين. و الأعضاء الدائمون كانوا: بريطانيا و فرنسا و أيطاليا و اليابان و الولايات المتحدة، لكن الأخيرة لم تنضم إلى العصبة فأعطي مقعدها لألمانيا عام 1934 بعد وصول هتلر الى الحكم في برلين